

دراسة السيرة النبوية الشريفة بين الواقع والمأمول

المحمد بن سالم
رئيس فرع المركز الثقافي الإسلامي بعين صالح | ولاية تلمسان

أولاً: مدخل منهجي:

إن السيرة النبوية الشريفة تعني التطبيق العملي والتفسير الواقعي لهذا الدين؛ فهي أفعال ﷺ التي تدل على تطبيقه لهذا الدين الإسلامي وهي المفسرة للقرآن الكريم. والله عز وجل أمر المؤمنين أن يجعلوا من ﷺ قدوة وأسوة لهم في حياتهم، وهذا من أوجب الواجبات، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال: ﴿وَمَا تَسْأَلُونَ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

ولن نستكمل من جعله أسوة وقدوة إلا لمعرفة سيرته، وهذا ما لا يتم الفرض إلا به، ((وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)).

وفي هذه المقالة سنخرج على المناهج

التي تدرس بها السيرة النبوية لصلتها بالموضوع ثم نحاول التحدث عن واقع تدريس السيرة النبوية في الأوساط التعليمية والتربوية والمنابر الإعلامية والمسحدية، ذلك لأن هذه الجهات لها علاقة وطيدة واحتكاك مباشر بعامّة الناس، وتأثيرها على الأفراد واضح من خلال الخطب الموجهة، وهي إحدى الوسائل التي يتم بها توصيل القول.

ثانياً: مناهج دراسة السيرة النبوية:

1- المنهج السردى: وهو تكتب السيرة النبوية بأسلوب قصصي يساق فيه المعلومات وتروى فيه الأحداث تسلسل منطقي ومترابط مع اختلاف في درجة صحة هذه الروايات؛ وهذا الأسلوب لا يتضمن تحليلاً للأحداث ولا استنباطاً لأحكام فقهية أو حكم تشريعية، وهذا

وعقلية قادرة على فهم الوقائع وتحليلها، ومن ألف بهذا المنهج وأبدع فيه الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه "زاد المعاد"، وكذا الأستاذ محمد أبو زهرة في كتابه "خاتم النبیین".

4- المنهج الموضوعي: وفي هذا المنهج تجمع من السيرة النبوية تلك المعلومات والأحداث المتعلقة بموضوع واحد، وإعطاء فكرة متكاملة وشاملة عن هذا الموضوع، وإخراجها في بحث ذي مقدمة ومحتوى وخاتمة.

ومن ذلك مثلاً الكتابة عن موضوع: (الناحية التربوية في السيرة النبوية)، أو (الجانب العسكري في سيرة ﷺ)... وتكمن فائدة هذا المنهج في تمكين أهل الاختصاص من الاستفادة في مجالات تخصصهم.

وصنفت كتب عديدة وفق هذا المنهج، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- ✓ العبقريّة العسكرية في غزوات ﷺ للأستاذ محمد فرج.
- ✓ الرسول والحرب النفسية للشيخ منصور محمد محمد عويس.
- ✓ المدرسة النبوية العسكرية لمحمد أبو

المنهج هو أول المناهج في كتابة السيرة النبوية الشريفة، وأول من بدأ بالتدوين وفقه عروة بن الزبير بن العوام (22هـ-92هـ)؛ ويعتبر كتابه أول مصنف في السيرة النبوية، وتبعه في هذا المنهج إبان بن عثمان بن عفان (105هـ)، وابن شهاب الزهري (124هـ)، وابن سعد، وابن هشام.

2- المنهج التاريخي: وفي هذا المنهج تكتب السيرة بأحداثها وترتب زمنياً حسب وقوعها على حسب السنوات، فيذكرون حوادث السنة الأولى من الهجرة ثم حوادث السنة الثانية... وهكذا.

ومن الذين كتبوا وفق هذا المنهج الإمام محمد بن جرير الطبري، وابن الأثير، وأبو حاتم البستي في كتابه "السيرة النبوية وأخبار الخلفاء".

3- المنهج التحليلي: ولا يكتفي المؤلف وفقه بسرد الأحداث وترتيبها فقط، وإنما يغوص في نصوصها واستنباط الأحكام والعبر والعظات منها، ويربط هذه العبر والدروس بالواقع والموازنة والمقارنة ليرفعوا من هذا الواقع ويصلحوه، وهذا المنهج يتطلب قدرة على الاستيعاب،

6/ المنهج المسرحي: وهذا المنهج حديث العهد، حيث تأثر أصحابه بالمنهج الغربي، وأول من كتب بهذا المنهج توفيق الحكيم، ثم تلاه كتاب كتبوا بعض أحداث السيرة النبوية بهذا المنهج، ومن ذلك "مسرحية إسلام عمر"، و"أحداث فيلم الرسالة"...

وهذا المنهج تنقص أصحابه الدقة العلمية لأنهم كتبوه كأدباء، وكتاب مسرح، وليسوا علماء ولا دعاة.

ثالثاً: أهمية دراسة السيرة النبوية:

إن لدراسة السيرة النبوية أهمية بالغة لدى كل مسلم، فهي تحقق عدة أهداف وغايات، وتعمل على تربية الفرد والمجتمع على السواء، وتخلص الأمة والشعوب من برائن الانحراف والانحلال، وتكمن هذه الأهمية تفصيلاً فيما يلي:

✓ الاقتداء بـ ﷺ من خلال معرفة شخصيته وأعماله وأقواله وتقريراته.

✓ تكسب المسلم محبة ﷺ وتنميها وتباركها.

✓ تعرّف المسلم بحياة الصحابة الكرام رضي الله عنهم الذين جاهدوا مع ﷺ وبالتالي الدعوة إلى محبتهم والسيرة

فارس.

✓ جيش الرسول ﷺ للجنرال الركن اللواء محمد شيت خطاب.

✓ الرسول الفائزة للجنرال الركن اللواء محمد شيت خطاب.

15/ المنهج الشعري: والمقصود به كتابة السيرة النبوية أو جزء منها في نظم شعري، وهذا المنهج لا يتيسر إلا للشعراء الذين حباهم الله نعمة الشعر والقدرة على فرضه وتسخيرها، وهذا المنهج يسهل حفظ السيرة على الناس.

ومن انتهجوا هذا المنهج وكتبوا وفقه:

✓ أبو محمد بن سعيد الدميري المعروف بسعد الدميري (ت 607هـ).

✓ أبو الحسن فتح بن موسى القصري عمر بكر (ت 668هـ).

✓ ابن إبراهيم بن محمد النابلسي المعروف بابن الشهيد (ت 793هـ).

✓ عمر حوري اللبناني في ملحمة الشعرية "سيرة رسول الله"، التي تزيد عن 1300 بيت.

✓ البوصيري في قصيدته الخالدة "الردة" و"الهمزية"...

من خلال معرفة عوامل النهوض وأسباب السقوط.

✓ دراسة السيرة النبوية تعلم المسلم كل فنون إدارة الصراع والبراعة في إدارة كل مرحلة وكيفية مواجهة القوى المضادة من الكفار والمنافقين وغيرهم.

((إن النبي ﷺ لم يلحق بالرفيق الأعلى إلا بعد أن ترك سوابق كثيرة لمن يريد أن يقتدي به في الدعوة والتربية والثقافة والتعليم والجهاد وكل شؤون الحياة، والتعمق في سيرته تساعد القارئ على التعرف على الرصيد الخلفي الكبير الذي تميز به ﷺ عن كل البشر)) [محمد علي الصلاحي].

ولئن أدركنا الأهمية القصوى التي تحتلها السيرة النبوية في بناء الفرد والأمم والدول بصفة عامة كمنظريات مختلفة طبقت وأثبتت نجاحها على مرّ الدهور والعصور فيجدر بنا الأمر إلى أن نعرف نسبة السيرة النبوية كمادة في مختلف المناهج التعليمية والإعلامية والمنابر المسجدية.

وهل تم توصيل مفاهيمها لكافة الناس والاستفادة من معانيها حسب الحاجة؟ وهل تحسدت سيرته عليه الصلاة والسلام

على نهجهم واتباع سبلهم.

✓ توضح حياة ﷺ بدقائقها وتفاصيلها منذ ولادته وحتى وفاته مروراً بطفولته وشبابه وجهاده...

✓ تزود كل مسلم بما يحتاجه من خلال معرفة ال ﷺ زوجاء، وأباء، وقائداً، وحاكماً، وساسياً، ومربياً، وداعياً، وزاهداً، وقاضياً... فيستفيد كل واحد بالقدر وبالجنب الذي يحتاج إليه من حياته وسيرته ﷺ.

✓ التحلي بالآداب الرفيعة والأخلاق الحميدة والعقيدة السليمة والعبادة الصحيحة، وسمو الروح وطهارة القلب، وحب الجهاد من خلال تصفح وقائع السيرة العطرة.

قال علي بن الحسن: ((كنّا نعلم مغازي النبي ﷺ كما نعلم السورة من القرآن)). وقال اسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص: ((كان أبي يعلمنا مغازي ﷺ يعدها علينا ويقول هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها)).

✓ دراسة السيرة النبوية تساعد العلماء والقادة والفقهاء والحكام على معرفة الطريق إلى عز الإسلام والمسلمين

أما على مستوى مناهج التعليم الثانوي فكان نصيب الحجم الساعي بمعدل ساعتين اثنتين أسبوعياً لكل مستوى.

فمستوى السنة الأولى ثانوي آداب وعلوم فحصران اثنتان للسيرة النبوية في المحاور التالية:

✓ مقدمة في السيرة النبوية.

✓ تحليل وثيقة المجتمع المدني.

أما مستوى السنة الثانية ثانوي علوم فحصران اثنتان مخصصتان للسيرة النبوية في محور واحد وهو رسائل الرسول ﷺ إلى ملوك ورؤساء عصره.

أما مستوى السنة الثالثة ثانوي فعدد التخصص اثنتان في مادة السيرة النبوية تشمل محورا واحدا هو قراءة في خطبة الوداع.

هذا حظ السيرة في المناهج التعليمية والمتأمل يدرك أن هذه المواضيع مطلوب تدريسها وفق المنهج التحليلي، وهذا شيء جيد للغاية غير أنها تعدّ غير كافية للطلاب والتلميذ لتحصل له الاستفادة من سيرة الرسول العطرة. رغم أن النقطة العاشرة في المنهاج التربوي (جذع مشترك آداب/ مارس 2005) تقول: ((إن من ملامح

في سلوكيات المجتمعات وواقعهم المعيش؟ أم أن هذا الشأن بخلاف ذلك؟

رابعا: السيرة النبوية في المناهج الدراسية:

تعدّ المنظومة التربوية المحور الأساسي والعمود الفقري لبناء الفرد وتكوين سلوكياته وتربيته وفق ما يؤهله لخدمة دينه ووطنه.

إن البعد الديني في المنظومة التربوية واضح تماما كون أن الدستور ينص على أن الإسلام دين الدولة. والمتأمل في مناهج العلوم الإسلامية لصفّ التعليم المتوسط يجد أن الحجم الساعي المخصص لهذه الشعبة عبر كل المستويات يقدر بمعدل حصّة واحدة في الأسبوع لكل مستوى. غير أن مواضيع السيرة النبوية لا تزيد عن ثلاثة مواضيع في السنة لكل مستوى:

✓ السنة الأولى: عدد المواضيع = 03

✓ السنة الثانية: عدد المواضيع = 02

✓ السنة الثالثة: عدد المواضيع = 02

✓ السنة الرابعة: عدد المواضيع = 02

أما بقية التخصص فتشملها مواضيع في مختلف مواد العلوم الإسلامية والتربية المدنية.

المنهاج أن يدرك الطالب أهمية دراسة السيرة النبوية وكيفية قراءتها وتحليل وقائعها).

خامساً: السيرة النبوية في المدارس القرآنية والخطاب المسجدي:

1- المدارس القرآنية: إن المدرسة القرآنية منذ تُمّت المصادقة على القانون الأساسي الخاص بإحداث سلك معلمي القرآن الكريم في إطار الوظيفة العامة 1980م/1400هـ المتزوج بالمرسوم الصادر تحت رقم 123/80 المؤرخ في جمادى الثانية 1400هـ الموافق 19 أبريل 1980 أضحت بذلك واقعا موجودا وهي خطوة مباركة تفتخر بها الجزائر، وهي في تزايد مستمر يزيد عم 2300 مدرسة.

فولاية تُمّراسست لوحدها توجد بها:

✓ 74 مدرسة قرآنية.

✓ 157 قسم قرآني.

✓ 34 زاوية عاملة.

وأمام هذه الأرقام والمستجدات وضعت الوزارة الوصية برعاها يستفيد منه الطالب وينمي من قدراته العلمية والذهنية حسب كل فئة، والذي يهمننا منه هو نسبة السيرة النبوية فيه.

فالحجم الساعي المخصص للسيرة النبوية في برنامج الفترة الصيفية الموجه للفئة الأولى يقدر بحصة واحدة في الأسبوع.

أما في برنامج الفترة الشتوية الموجه للفئة الأولى فيقدر بساعتين اثنتين. غير أن البرنامج لم يركز على المواضيع ولا على المنهج المتبع في تدريس السيرة النبوية ولا على المراجع المعتمدة، وذلك في غياب منهاج تعليمي تحدد فيه الأهداف والغايات حسب كل فئة، ومقتضى كل درس حسب كل مرحلة.

وهذا ما يجعل مادة السيرة النبوية في المدارس القرآنية تعطى بأسلوب مختلف، وبصورة متعددة، مواضيع غير مدروسة من جهة الأهداف، وبالتالي نلاحظ هناك تفاوتاً بيننا في الكم العلمي والمعرفي لدى الطالب والدارس بالمدارس القرآنية.

2- السيرة النبوية في الخطاب المسجدي: ونقصد بذلك نسبة الدروس المقدمة في مادة السيرة النبوية إلى رواد بيوت الله تعالى، وهذا الجانب أوسع من أن أعرج عليه بدقة متأنية لأسباب عديدة، غير أنني أحاول لفت النظر فقط إلى هذا

الرغبة في المادة.

وانعدام منهاج موحد بالمساجد يجعل هذه المادة تعطى أحيانا بشكل ممل، خاصة إذا اعتمد الإمام المنهج التاريخي فقط في الوقوف على أحداث السيرة العطرة. وإن كان غياب منهاج موحد في المادة ظاهرة إيجابية أحيانا تجعل الإمام يحتهد ليعرف طبائع الرواد والحاضرين ومستوياتهم، وبالتالي طرح الموضوع بالمنهج الذي يليق بأذهان الحاضرين.

ولأهمية هذه المادة كما سبق أن ذكرنا، ونظرا للمركز الذي يتبوأه المسجد في المجتمع نرى أن تعتمد كمادة رئيسية وفق متابعة ميدانية ووقوف مستمر من خلال عمليات التفتيش واعتماد التقارير الأسبوعية أو الشهرية للدروس، وتخصيص ساعات تدريبية للأئمة تبين طريقة الإلقاء على مستوى المناهج المعتمدة في كتابة السيرة النبوية، وكيفية الاستفادة من الوسائل التقنية الحديثة بقصد التوضيح وتقريب الصورة.

سادسا: السيرة النبوية في وسائل الإعلام:

الشان من جهة جزئية صيغة أي في المحيط الإفريقي الذي أعيش فيه، وأنقل بين جوانحه.

فهذه المادة يختلف العطاء فيها من مسجد لآخر حسب طبيعة الإمام والمسجد والرواد أحيانا.

فتوجد مساجد تدرس مواضيع السيرة النبوية أسبوعيا حسب البرنامج المعتمد لدى الإمام، وتعد مادة أساسية وحجمها الساعي يختلف من مسجد لآخر حيث يتراوح ما بين 30 إلى 15 دقيقة أسبوعيا تقريبا.

بينما مساجد أخرى تخلو من هذا الجانب، ولا يوجد نصيب لهذه المادة في البرنامج اليومي، وحظ السيرة من الخطاب إلا ما يقدم بالمناسبات التاريخية كغزوة بدر، وفتح مكة، أو ما يتعلق بالمدائح كمنهج شعري يقدم في السيرة النبوية بمناسبة أسبوع المولد النبوي الشريف.

وتدريس السيرة النبوية في مساجد أخرى متذبذب، وذلك بحسب طبيعة الملقى أو الإمام، وهذا ما يسبب تشتت الفهم، وعسرا في الإدراك، وتذبذبا في تسلسل الأحداث التاريخية، وبالتالي عدم

الشان أضحت اليوم وفيرة ومتزايدة ومتنوعة.

وأخيراً مما يبقى ملاحظاً الجانب المسرحي في السيرة النبوية، فترجمتها في أفلام ومسلسلات ومسرحيات صحيحة ودقيقة المعلومات تبقى ناقصة جداً، وإن كان هذا الأمر متوفراً بنسبة معينة كما رأينا في فيلم "الرسالة" المطول وبعض الأفلام التاريخية الأخرى وبعض المسرحيات.

وترجمتها للصغار في أفلام رسوم متحركة ومسلسلات ذات حلقات متعددة تعرض بصورة مشوقة تبقى من أهم الوسائل لفهم السيرة النبوية وتجسيدها في الواقع من خلال التأثير بما يسمع ويشاهد.

سابعاً: آفاق تدريس السيرة النبوية:

1- على مستوى الأسرة:

أ. تلقين الآباء والأمهات والأطفال في جلسات أسرية بعضاً من مقتطفات السيرة النبوية وعمل الرسول ﷺ مع الصحابة وزوجاته وأولاده...

ب. إنشاء مكتبة صغيرة على مستوى البيت تشمل كتباً وأشرطة حول سيرة الرسول ﷺ.

ت. تكليف الأبناء بواجب بسيط

لا يخفى على أي لب ما لوسائل الإعلام من أهمية وتأثير مباشر على الأفراد والشعوب وبالتالي هي التي تمتلك توجيه الرأي العام نحو فكرة أو سلوك معين. وبهذا تعدّ وسائل الإعلام أحد الأساليب الأساسية الناجحة في تربية الأفراد والمجتمعات. والمتبع لوسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة يدرك أن نسبة هذا الموضوع في الحجم الساعي ضئيلة جداً.

فالموضوع متفاوت بالنسبة للمحطات التلفزيونية، فهناك محطات خصّصت في برامجها وقتاً لهذه المادة تعرض كل أسبوع، وأخرى ليس بها لهذا الموضوع حظ إلا في المناسبات التاريخية.

وهذا يقال حتى في وسائل الإعلام المسموعة والمكتوبة، وإذاعة "الأهقار" باعتبارها تمثل الإعلام الجوّاري في هذه الولاية [مغراست]، فإن البرنامج الديني فيها متنوع، والسيرة النبوية تعدّ أحد المحاور الرئيسية في كل أسبوع.

غير أن وقت هذا البرنامج يبقى دائماً في غير متناول الجميع. وكمية الأقرص المضغوطة والأشرطة المسموعة في هذا

وتقديمها بأسلوب مشوق من خلال التحليل والعرض والوقوف على الوقائع والأحداث وربطها بالواقع.

ح. تزويد مكتبة المسجد بالكتب والأشرطة الخاصة المعتمدة في سيرة النبي ﷺ.

خ. إقامة ندوات شهرية داخل المسجد وفق المنهج الموضوعي في السيرة النبوية للوقوف على جملة مواضيع الحياة العامة من خلال استنباط الحكم والعبر من المنهج النبوي.

3- على مستوى الإعلام:

أ. اعتماد السيرة النبوية محوراً أساسياً في البث الأسبوعي للبرنامج الديني عبر وسائل الإعلام الجوارية وغيرها.

ب. كتابة مقالات ومواضيع في ركن الصحافة المكتوبة بأسلوب شيق يبرز عمل وشمال وأخلاق الرسول الكريم ﷺ.

ت. إنشاء موقع خاص بالأشرطة والمجلات والكتب والأفلام والمحاضرات التي تخدم السيرة النبوية لتكون في متناول الجميع.

ث. إنتاج أفلام ومعارض ومسرحيات وغيرها، بحيث تخدم السيرة النبوية

في سيرة المصطفى ومكافأته على هذا الواجب.

ث. تعليق بعض اللوحات الجدارية في أركان المنزل تحمل صوراً من حياة الرسول ﷺ في المغازي وغيرها، مما يسهل استيعاب وفهم السيرة النبوية العطرة.

2- على مستوى المناهج التعليمية والخطاب المسجدي:

أ. اعتماد مادة السيرة النبوية كمادة أساسية ومحورية تعطيها أهميتها الحجم الساعي الكافي.

ب. توظيف المسرح المدرسي والإذاعة لابرار عمل الرسول ﷺ والصحاب الكرام من خلال عرض مشوق للسيرة النبوية الشريفة.

ت. إحداث جائزة ومسابقة سنوية يشترك فيها المجتمع المدرسي والمحلي وأولياء الأمور حول سيرة الرسول ﷺ.

ث. تعليق لوحات جدارية تشمل أسماء الرسول ﷺ وأسماء أولاده وزوجاته وأصحابه وخلائط غزواته... وتسمية الفصول والقاعات بما يربط التلاميذ بأحداث السيرة.

ج. اعتماد السيرة النبوية الشريفة مادة أساسية في الخطاب المسجدي

وتقرَّب فهمها لكل مسلم، ومن ثمَّ العمل على توسيع توزيعها.

وفي نظري فإنَّ هذه الجهود لو تضافرت وصدقت النوايا وتوفرت الوسائل لاستطعنا أن نجعل بوضوح معنى سيرة النبي ﷺ في ذهن كل مسلم، وعندئذ يتحتم على الجميع إكباره والافتداء به إذ من جهل الشيء، عاداه ومن عرفه أحبه. خاصة ونحن أحوج ما نكون إلى الافتداء به والتمسك بسنته من خلال ما خلَّده من نظريات واقعية رائدة لو طبقت اليوم لأخرجت البشرية والشعوب من بؤرة الهاوية وبرائن الهوى والفضلال. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُتُوءٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ الأحزاب: ٢١.

وإني أختم هذه المقالة بهذه الأبيات للشاعر محمد براح:

بعث النبي إلى البرية رحمة

وعلى يديه تفتح الأنوار

يا ذا الذي سبَّ النبي محمداً

أنذم من حادته الافتدار

لولاه ما ارتشف الفؤاد حلاوة

للولاه ما قام لنا آثار

غنت له الدنيا تبوح بحبه

وحلا الشيد ليعذب المشوار

نبض الفؤاد يريد دهن محمد

وسلا فقد غشى الظلام نهار

هذا الرسول يد تفجر نبعها

بالخير حين تقاول الأشرار

مأساتنا ليست بسبَّ محمد

أو ما يقول منافق غدار

لكنها الذل يضرب عرقنا

وفقط لأن عدادنا مليار

صلوا على هذا النبي وسلموا

طابت بذكر نبينا الأذكار.